خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

الحلقة (14)

الوفاء

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (١٤)

الوفاء

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

لم يحضــر أنس بن النضر غزوة بدر، فحزن لذلك، ثم قال: يا رسول اللَّه، غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين فيه، ولئن أشهدني اللَّه مع النبي صلى اللَّه عليه وسلم قتال المشركين ليرينَّ ما أصنع. وهكذا أخذ أنس بن النضر عهداً على نفسه بأن يجاهد ويقاتل المشركين، ويستدرك ما فاته من الثواب في بدر، فلما جاءت غزوة أحد انكشــف المسلمون، وحدث بين صفوفهم اضطراب، فقال أنس لسعد بن معاذ: يا سعد بن معاذ، الجنَّةَ ورَبِّ النَّضــْر، إني لأجد ريحها من دون أحد، ثم اندفع أنس يقاتل قتالا شــديداً حتى استشهد في سبيل اللَّه، ووجد الصحابة به بضعًا وثمانين موضعًا ما بين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بالسهم، ولم يعرف أحد أنه أنس بن النضر إلا أخته بعلامة في إصبعه.

[متفق عليه].

فكان الصــحابة يرون أن اللَّه قد أنزل فيه وفي إخوانه قوله تعالى: {من المؤمنين رجال صــدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا} [الأحزاب: ٢٣].

***

كانت الســيدة خديجة –رضــي اللَّه عنها– زوجة رحيمة تعطف على النبي صــلى اللَّه عليه وسلم، وتغمره بالحنان، وتقدم له العون، وقد تحملت معه الآلام والمحن في ســبيل نشر دعوة الإسلام، ولما توفيت السيدة خديجة –رضــي اللَّه عنها– ظل النبي صلى اللَّه عليه وسلم وفيًا لها، ذاكرًا لعهدها، فكان يفرح إذا رأى أحداً من أهلها، ويكرم صديقاتها.

وكانت السيدة عائشة –رضي اللَّه عنها– تغار منها وهي في قبرها، فقالت للنبي صلى اللَّه عليه وسلم ذات يوم: هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلكَ اللَّه خيراً منها؟ فغضــب النبي صــلى اللَّه عليه وسلم غضبًا شديداً، وقال لها: (واللَّه ما أبدلني اللَّه خيراً منها؛ آمنتْ بي إذ كفر الناس، وصــدقتني إذ كذبني الناس، وواســتني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني اللَّه منها الولد دون غيرها من النســاء) [أحمد]. وهكذا ظل النبي صلى اللَّه عليه وسلم وفيًا لزوجته خديجة –رضي اللَّه عنها–.

***

ضــرب صــحابة الرسول صلى اللَّه عليه وسلم من الأنصار (وهم أهل المدينة) أروع الأمثلة في الوفاء بالعهد، فقد بايعوا النبي صــلى اللَّه عليه وســلم على الدفاع عن الإسلام، ثم أوفوا بعهدهم، فاستضافوا إخوانهم المهاجرين واقتسموا معهم ما عندهم، حتى تم النصر لدين اللَّه.

فعن عوف بن مالك –رضــي اللَّه عنه– قال: كنا مع النبي صلى اللَّه عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال النبي: (ألا تبايعون رســول اللَّه؟). فبســطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول اللَّه، فعلامَ نبايعك؟ قال: (على أن تعبدوا اللَّه ولا تشــركوا به شــيئًا، والصــلوات الخمس، وتطيعوا) وأســرَّ كلمة خفية، قال: (ولا تســألوا الناس شــيئًا). قال عوف بن مالك: فقد رأيتُ بعض أولئك النفر يســقط سوط أحدهم (ما يقود به الدابة)، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه. [مسلم].

***

كان عرقوب رجلا يعيش في يثرب (المدينة المنورة) منذ زمن بعيد، وكان عنده نخل ينتج تمرًا كثيرًا. وذات يوم جاءه رجل فقير مسكين يسأله أن يعطيه بعض التمر، فقال عرقوب للرجل الفقير: لا يوجد عندي تمر الآن، اذهب ثم عد عندما يظهر طلع النخل (أول الثمار). فذهب الفقير، وحينما ظهر الطلع جاء إلى عرقوب، فقال له عرقوب: اذهب ثم عد عندما يصير الطلع بلحًا.

فذهب الرجل مرة ثانية، ولما صار الطلع بلحًا جاء إلى عرقوب، فقال له: اذهب ثم ارجع عندما يصير البلح رطبًا، وعندما صار البلح رطبًا حضر الرجل إلى عرقوب، فقال له عرقوب: اذهب ثم ارجع عندما يصير الرطب تمرًا، فذهب الرجل. ولما صار الرطب تمرًا صعد عرقوب إلى النخل ليلا، وأخذ منه التمر، وأخفاه حتى لا يعطي أحدًا شيئًا منه، فلما جاء الفقير لم يجد تمرًا في النخل، فحزن لأن عرقوب لم يفِ بوعده. وصار عرقوب مثلا في إخلاف الوعد، حتى ذم الناس مُخْلِف الوعد بقولهم: مواعيد عرقوب.

***

ما هو الوفاء؟

الوفاء أن يلتزم الإنسان بما عليه من عهود ووعود وواجبات، وقد أمر

اللَّه –تعالى– بالوفاء بالعهد، فقال جل شأنه: {وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً} [الإسراء: ٣٤]. وقال تعالى: {وأوفوا بعهد اللَّه إذا عاهدتم }.

[النحل: ٩١].

أنواع الوفاء:

الوفاء له أنواع كثيرة، منها:

الوفاء مع اللَّه: بين الإنسان وبين اللَّه –سبحانه– عهد عظيم مقدس هو أن يعبده وحده لا يشرك به شيئًا، وأن يبتعد عن عبادة الشيطان واتباع سبيله، يقول اللَّه عز وجل: {ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم} [يس: ٦٠-٦١].

فالإنسان يدرك بفطرته السليمة وعقله أن لهذا الكون إلهًا واحدًا مستحقًّا للعبادة هو اللَّه –سبحانه–، وهذا هو العهد الذي بيننا وبين اللَّه.

الوفاء بالعقود والعهود: الإسلام يوصي باحترام العقود وتنفيذ الشروط التي تم الاتفاق عليها، وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (المسلمون عند شروطهم) [البخاري]، وقد عقد النبي صلى اللَّه عليه وسلم صلح الحديبية مع الكافرين، ووفَّى لهم بما تضمنه هذا العقد، دون أن يغدر بهم أو يخون، بل كانوا هم أهل الغدر والخيانة. والمسلم يفي بعهده ما دام هذا العهد فيه طاعة للَّه رب العالمين، أما إذا كان فيه معصية وضرر بالآخرين، فيجب عليه ألا يؤديه.

الوفاء بالكيل والميزان: فالمسلم يفي بالوزن، فلا ينقصه، لأن اللَّه –تعالى– قال: {أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم} [هود: ٨٥].

الوفاء بالنذر: والمسلم يفي بنذره ويؤدي ما عاهد اللَّه على أدائه. والنذر: هو أن يلتزم الإنسان بفعل طاعة للَّه -سبحانه-. ومن صفات أهل الجنة أنهم يوفون بالنذر، يقول تعالى: {يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيراً}.

[الإنسان: ٧]. ويشترط أن يكون النذر في خير، أما إن كان غير ذلك فلا وفاء فيه.

الوفاء بالوعد: المسلم يفي بوعده ولا يخلفه، فإذا ما وعد أحداً، وفي بوعده ولم يخلف؛ لأنه يعلم أن إخلاف الوعد من صفات المنافقين. قال الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان) [متفق عليه].

الغدر والخيانة:

الغدر خلق ذميم، والخيانة هي عدم الوفاء بالعهود، وهي الغش في الكيل والميزان.. وما شابه ذلك. يقول اللَّه -تعالى-: {إن اللَّه لا يحب الخائنين} [الأنفال: ٥٨]. وقال تعالى: {الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر اللَّه به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون} [البقرة: ٢٧].